

امارة حلب في عهد بني مرداس وعلاقاتها الخارجية

د. شوقي شعث

المديرية العامة للآثار والمتاحف

بعد موت سيف الدولة الحمداني أمير حلب اضطربت الاحوال السياسية في حلب وسورية الشمالية على وجه العموم نظرا لعدم تمكن أحد من خلفائه من حسم الامور لصالحه وبالتالي تأمين الاستقرار ، ويبدو أن ذلك عائد الى الصراع بين أمراء بني حمدان الذين جاؤوا بعده بسبب كثرة الطامعين منهم بالامارة ، وكثرة الطامعين بالبلاد من خارج الحدود ، وتأتي على رأس تلك القوى الطامعة القوى العظمى في ذلك العصر وهي : الخلافة الفاطمية بالقاهرة والخلافة العباسية ببغداد والامبراطورية البيزنطية في بيزنطة ناهيك عن أمراء العرب المحليين اهمهم أمراء بني مرداس الكلابيون (١) .

ونظرا لان السياسة الخارجية المرادسية خضعت لعوامل اقتصادية ومذهبية وسياسية ، فقد اختلفت طبيعة العلاقات بينها وبين القوى المتنافسة الرئيسية في المنطقة ، فبات من الضروري الوقوف على طبيعة تلك العلاقات التي تحكمت في سياسة الامارة المرادسية الخارجية .

المرادسيون والفاطيون :

تعود علاقة الفاطميين بحلب الى عهد الدولة الحمدانية خاصة بعد موت سيف الدولة وبعد سقوطها (٢) ظلت الخلافة الفاطمية تتطلع الى السيطرة على حلب وشمال سورية لمواجهة الخلافة العباسية في بغداد ونفوذها في الشام والجزيرة ، وكذلك الامبراطورية البيزنطية التي ساعدت أمراء العرب على نبذ طاعتها أي طاعة الخلافة الفاطمية وتقسيم بلاد الشام بموجب حلف تم بينهم فكانت فلسطين لحسان بن المفرج بن دغفل بن الجراح أمير طي ، وكانت دمشق لسنان بن عليان أمير كلب ، وكانت حلب لصالح بن مرداس أمير كلاب ، اذ تمكن الاخير عام ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م من أخذ حلب من يد الفاطميين بعد حصار طويل لقلعتها (٣) وظل يحكمها دون منازع حتى عام ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م ، وبالطبع لم ينظر الفاطميون بعين الرضا لحلف الأمراء العرب وذلك لانه قام على تقليص سلطتهم في بلاد الشام فباشروا من أجل عودتهم الى حلب وبلاد الشام ممارسة سياسة ذات اتجاهين : مهادنة البيزنطيين ، واصطناع آل رافع الكلبيين ، فقد قام الخليفة الظاهر بابرام صلح مع البيزنطيين في عهد قسطنطين الثامن كان من أهم بنوده أن يتوقف الفاطميون عن تهديد حلب لتستمر في دفع الجزية السنوية للبيزنطيين ، وفي مقابل ذلك تعهد هؤلاء بعدم تقديم المساعدة لحسان

دراسات تاريخية ، ٣٧ و ٣٨ ، أيلول - كانون ١٩٩٠

الطائي بفلسطين ، وظل هذا الاتفاق صامدا حتى عام ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م حين قام الخليفة الظاهر الذي عقد هذا الاتفاق مع البيزنطيين ، بعد وفاة قسطنطين الثامن ، بإرسال جيش كبير تمكن من كسر جيوش تحالف الأمراء العرب المار ذكره في موقعة الاقحوانة بالقرب من طبرية عام ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م ، فقتل صالح وولده الاصغر وفر ولده نصر الى حلب ولجأ حسان الى الدولة البيزنطية (٤) .

على الرغم من انتصار الفاطميين في هذه الموقعة فانهم لم يتمكنوا من القضاء على المرداسيين أو أخذ حلب من يدهم ، وفي الوقت نفسه اثاروا حفيظة البيزنطيين لانهم نقضوا الاتفاقية التي كانت بينهم من جهة ، واقتربوا من منطقة نفوذهم وحدودهم الجنوبية من جهة اخرى ، اقتسم الحكم بحلب في هذه الفترة ابنا صالح بن مرواس وهما : شبل الدولة أبو كامل نصر وحكم المدينة ، ومقر الدولة أبو علوان ثمال وحكم في القلعة (٥) .

في هذه الفترة اشتد الضغط البيزنطي على الدولة المرداسية وقد أدى ذلك الى توقيع اتفاقية بين المرداسيين والبيزنطيين على قاعدة التبعية عام ٤٢٢هـ / ١٠٣١م على نحو ما سنرى عند الحديث على العلاقة المرداسية - البيزنطية . لم ترض بنود هذه الاتفاقية الدولة الفاطمية لاتاحتها الفرصة للبيزنطيين بتدعيم سلطاتهم في شمال سورية ، وقد حاول الامير المرداسي شرح وجهة نظره للخليفة الفاطمي ، فإرسل الى القاهرة رسولا من قبله هو شيخ الدولة ابي الحسن بن الايسر بعد أن حملة هدايا الى الخليفة الفاطمي ، مما غنمه المرداسيون من البيزنطيين ، شملت الثياب والحلي والاواني وغيرها ، الا أن الخليفة أهمل الرسول فأقام هذا بالقاهرة ينتظر المقاتلة مدة خمسة أعوام . ومات الخليفة ولم يستقبله . وتغيرت الأوضاع السياسية وأسفرت عن طرد المرداسيين المقيم البيزنطي بحلب عام ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م . وعندما حاول دوقس انطاكية إعادة حلب الى التبعية تصدى له الامير نصر المرداسي وكسره وطارده وبذلك تحقق لامارة حلب الاستقلال التام (٦) .

لقيت عملية طرد المقيم البيزنطي من حلب هوى في نفس الفاطميين ، فقام الخليفة الفاطمي الجديد المستنصر (٧) باستقبال الرسول المنسي ، رسول نصر ، ابن الايسر بناء على تنسيب من وزيره الجرجاني وخلع عليه وسير معه خلعاً وتوقيعاً للامير المرداسي ولقبه بخمسة القاب هي : مختص الامراء ، خاصة الامامة ، شمس الدولة ومجدها ، وذو العزيمتين اضافة الى لقب شبل الدولة ، كل ذلك رغبة في احتواء حلب وملء الفراغ الذي نشأ عن طرد البيزنطيين (٨) .

وبعد ثلاث سنوات من طرد البيزنطيين ومحاولة الفاطميين الحلول مكانهم ، اتفق الطرفان عام ٤٢٩هـ / ١٠٢٨م (٩) على عقد هدنة بينهما لم يتمسك البيزنطيون فيها

بالشرط الذي تمسكوا به في اتفاقية عام ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م ، والذي كان ينص على أن لا يتعرض الفاطميون لحلب وبذلك تخلوا عن مطامعهم بحلب مما ترك الفرصة للفاطميين لاستعادة سيطرتهم على حلب ، ومن أجل ذلك قام نائب الفاطميين أنوشكين الدزبري نائب الفاطميين ببلاد الشام بمكاتبة الامبراطور البيزنطي يستأذنه في حرب نصر المرداسي فأذن له (١٠) ، التقى الدزبري بنصر عند تل غربي بلدة السلمية ثم عند تل فاس غربي بلدة لطمين عام ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م حيث سقط نصر عن جواده وقتل ونقل الى حماه حيث دفن بجامعها الكبير الى أن نقله ابن عمه مقلد بن كامل الى قلعة حلب نحو عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م (١١) .

بعد موقعة تل فاس هذه ، عاد ثمال أخو نصر الى حلب وتجمع أهلها حوله للدفاع عن مدينتهم ضد جيش الدزبري وتقرب هو من أهلها فسدد الديون التي كان أخوه نصر قد استدانها ولاطف كبار تجارها الا أنه لم يأمن غدرهم فقرر مغادرة المدينة تاركا ابن عمه مقلد بن كامل على القلعة وخليفة بن جابر الكعسبي على المدينة (١٢) ، ولم يمض على حكمه بحلب سوى شهر واحد ، وتوجه الى الرحبة التي كان يتولاها من قبل أخيه نصر ، وبعد رحيله عن حلب تقدمت جيوش الدزبري الى حلب وتسلم حلب وقلعتها باتفاق الطرفين وبذلك عادت حلب للمرة الثانية الى تبعية نائب الفاطميين بالشام (١٣) .

استقر ثمال بالرحبة واخذ يمدد الطريق لاستعادة إمارته في حلب ، وقوى صلاته بالقبائل العربية في بلاد الشام والجزيرة عن طريق الزواج ، فتزوج علوية بنت وثاب النميري التي كانت زوجة لآخيه نصر والتي ورثت حكم الرافقة بجوار الرقة (هي الان ضمن الرقة) بعد وفاة أخيها واتبع ذلك بزواج آخر من أرملة شبيب بن وثاب ، وبذلك أصبحت الرحبة والرافقة والرقة في حكم ثمال (١٤) . لكن هذه التحركات لم تكن غائبة عن الدزبري فقاومها بأعمال شبيهة حيث تزوج بنت صاحب ميفارقين وديار بكر ، كما قام بشراء قلعة جعبر القريبة من الرقة وبذلك أصبح ثمال محصورا من الشمال الشرقي ومن الغرب (١٥) ، وفي محاولة لفك ذلك الحصار طلب عون الامبراطور البيزنطي الذي وعده بالمساعدة ، فقام هذا من أجل تخفيف الضغط على ثمال ، بمهاجمة افامية وحماه مما أشغل الدزبري عن ثمال (١٦) .

ويظهر ان الدزبري قام بتلك الاعمال دون علم الخليفة الفاطمي مما أثار الشك في نفسه وخاف من ازدياد نفوذ الدزبري وتعاضم سلطانه ، سيما وأنه كان يتباطىء في تنفيذ أوامر الخلافة بمصر بل انه احيانا كان لا ينفذها . وعندما تأكد للخلافة نية الدزبري عملت على التخلص منه (١٧) ، فكتب الخليفة لثمال توقيعا بحلب شرط أن يحمل ما بقلعتها من الاموال اليه (١٨) . ولم يطل أمر الدزبري ، فثار عليه جند دمشق (١٩) ففر الى بعلبك ثم حماه وبعدها الى حلب الا أن القدر لم يمهله فتوفى فيها بالفالج عام ٤٣٣هـ/ ١٠٤٢م (٢٠) .

عاد شمال الى مقر إمارته بحلب في ظل التبعية الفاطمية بعد أن تسلمها من بنجوتكين (٢١) بموجب توقيع المستنصر له ، ولكنه بعد أن استقر في حلب ووطد الامن فيها لم يلتزم بارسال ما اشترطه الخليفة الفاطمي من ارسال جميع ما بقلعة حلب من الاموال الى مصر ، فقد قام باحتزاء مبلغ كبير من المال بحجة عمارة القلعة وتعويض ما هلك من الاسلحة وما نفذ من العدد . وعندما علم المستنصر بالامر تغير عليه (٢٢) ، ومع أن الوزير فخر الملك أبا منصور صدقه بن يوسف الفلاح (٢٣) حاول التقليل من أهمية الحدث واصلاح ذات البين بين أمير حلب المرداسي والخليفة الفاطمي الا أن شمال لم يوصل ما انقطع الا بعد عامين ، فعذ ذلك عصيانا من شمال يستوجب التأديب عليه من وجهة نظر المستنصر . ومن أجل ذلك سعى لقطع الطريق عليه اذا ما حاول الاستنجد بالبيزنطيين ، فقام بتجديد الهدنة التي وقعها معهم وتبادل معهم الهدايا الثمينة وذلك عام ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م (٢٤) . وفي السنة التالية صدرت أوامر الخليفة المستنصر الى نائبه بدمشق ناصر الدولة الحسن بن الحسين الحمداني بالسير الى حلب لحرب شمال ولكنه هزم وعاد الى دمشق بعد أن تخلى لشمال عن حماه وحمص وبذلك عادت حدود الامارة المرداسية الى سابق عهدها (٢٥) .

اثارت هزيمة ناصر الدولة الحمداني غضب المستنصر فعزله وولى مكانه بهاء الدولة طارق الصقلي (٢٦) ، وانفذ أمير جيشه عدة الدولة أبو الفضل رفق الخادم عام ٤٤١هـ / ١٠٤٩م لقتال المرداسيين ، غير أن حظه لم يكن بأسعد من حظ ناصر الدولة ، فوقع في الاسر جريحا وحمل الى حلب وشهر به بأن أركب على بغل مكشوف الرأس ومعه عدد من كبار جنده فاختلط عقله ومات بالقلعة بعد ثلاثة أيام (٢٧) .

كان للهزائم التي أوقعها المرداسيون بجيوش الفاطميين أثر كبير في إعادة تنظيم الادارة المركزية الفاطمية بالقاهرة فقام الخليفة بالقبض على وزيره صفي الدين الجرجاني ونفيه الى صور ، وحمله مسؤولية تلك الهزائم لانه أشار عليه بارسال تلك الحملات العسكرية (٢٨) ، كما أفرج عن ناصر الدولة الحمداني والقي منصب الوزارة واستحدث منصب « الواسطة » (٢٩) ثم ما لبث أن عاد الى تسمية الوزارة عندما قلد قاضي القضاة أبا محمد الحسن اليازوري (نسبة الى بلدة يازور بفلسطين) وسماه سيد الوزراء (٣٠) .

وجد شمال في تغيير الجهاز الاداري بالخلافة الفاطمية فرصته في إعادة ما انقطع ، فطلب ود المستنصر لانه رأى ذلك أنفع له من استمرار العصيان ، بعد أن علم أن الفاطميين يعملون سراً لاسقاطه ، فأرسل رسولا هو شيخ الدولة علي بن أحمد الابر بفسط من الاتاوة المفروضة عليه وبعض الهدايا والنفائس الجميلة ، وسير معه ولده « وثاب » وزوجته علوية رغبة في اثبات حسن النية فقبل المستنصر توبة شمال ووقع له بحلب وسائر أعمالها (٣١) .

بدأ منذ عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م موقف ثمال يتحرج بسبب ظهور قوة ثالثة ، هي القوة السلجوقية التي كانت تحكم الى جانب الخليفة العباسي ببغداد ، وكان عليه أن يتلمس طريقه بين هذه القوى المتشاحنة المتباينة في الملة والنحلة والمصالح ، وعندما قام البساسيري بثورته ضد الخليفة العباسي أمده بالمال وتنازل له عن الرحبة كل ذلك من أجل ارضاء الخلافة الفاطمية (٢٢) ، ولكنه كان في كل ذلك مترددا خائفا من الخديعة فوقع بذلك بين غضب الفاطميين ، بسبب ذلك التردد ، وبين التوسع السلجوقي غربا فزاد قلقه وبدأ يخاف على امارته وبالتالي على نفسه ، فكتب الى المستنصر كتابا في عام ٤٩٩هـ/١٠٥٧م ، بتشجيع من المؤيد هبة الله الشيرازي ، يظهر فيه رغبته « أن يتفيا ظلالة ويسكن الى جواره ويتنازل له عن حلب » (٢٣) . وسرعان ما لبى المستنصر طلب ثمال وأرسل ابن ملهم العقيلي الملقب بمكين الدولة نائبا عنه الى حلب فتسلمها من ثمال وعوضه عنها عكا وبيروت وجبله (٢٤) ، لكن ثمال لم يباشر حكمها بنفسه وانما أناب عنه غيره لانه أجبر على الإقامة بالقاهرة (٢٥) .

عادت أطماع المرداسيين من جديد لأخذ حلب ، شجعهم على ذلك فشل حركة البساسيري ، وعندما لم يتمكن عز الدولة محمود بن نصر من أخذ حلب عندما سار اليها (٢٦) ، أثار الاحداث ضد حاكمها ، فطلب ابن ملهم النجدة من القاهرة (٢٧) ، فأنجد بجيش على رأسه ناصر الدولة الحمداني ، الا أن عز الدولة محمود بن نصر تمكن عند تل السلطان (الفينديق) من الحاق الهزيمة بناصر الدولة وابن ملهم ، ووقع ناصر الدولة بالاسر (٢٨) مما شجع أمراء العرب على الالتفاف حول عز الدولة وحاول ابن ملهم بذر الشقاق بين عز الدولة محمود وعمه عطية فسلم حلب لعطية ، الا أن محمودا جاء في نفس اليوم الذي تسلم عطية فيه المدينة ودخلها وذلك عام ٥٢هـ/١٠٦٠م (٢٩) . ويقول عبد المولى ، نقلا عن المؤرخ البريطاني جب ، ان ذلك العام كان الميلاد الحقيقي للدولة المرداسية (٤٠) .

آلت هزيمة محمود بن نصر المرداسي لناصر الدولة المستنصر ولكنه لم يكن في وضع يمكنه من الرد السريع على تلك الهزيمة لاضطراب أحوال مصر السياسية والاقتصادية وجاءت هذه الهزيمة لتزيد الامر تعقيدا ، وفي محاولة لتهدئة الامور وايجاد حلول لتلك الازمة ، ألقى القبض على وزيره اليازوري بتهمة اتصاله بالسلاجقة أعدائه (٤١) ، كما تمكن من اخماد ثورة الجند واسترضى الناس ، وبذلك هدأت الاحوال ، وبدأ يفكر بحل للعقدة المرداسية ، فذله تفكيره على ضيفه ثمال المقيم اقامة اجبارية بالقاهر . وثمان هذا هو عم محمود بن نصر أمير حلب الجديد ، الخارج على الدولة الفاطمية ، فقام باسترجاع الاقطاع الذي أقطعه اياه (٤٢) ، وقال له « هذه حلب وقد أخذها ابن أخيك فتعطي اليها وتستعيدها منه » ، وأمده بالسلاح والمال . فسار ثمال الى حلب وتجمع الناس حوله وهو في الطريق اليها ، واستنجد محمود بمنيع

ابن شبيب النميري الذي هب لنجدته بنفسه ، وحاول الاستنجاد بالروم البيزنطيين فلم ينجدوه ، وأخيرا تمكن ثمال من استرداد حلب بموجب صلح تم بينه وبين ابن أخيه محمود عام ٤٥٣هـ / ١٠٦١م كتابه للخلافة الفاطمية (٤٣) .

حافظ ثمال هذه المرة وهي المرة الثالثة التي يحكم فيها كزعيم للإمارة المرداسية والتي لم تمتد سوى سنة وتسعة أشهر على علاقة الود مع الفاطميين ، لأنهم هم الذين أعانوه على استرداد أمارته ، لكنه انشغل في حرب مع الروم البيزنطيين خاصة مع انطاكية (٤٤) وتبادل الغارات معهم ولم يمهله القدر فمرض ومات في الأيام الأولى من ذي القعدة عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م ، ولما شعر بدنو أجله استدعى أخاه أبو نؤابة عطية من الرحبة وعهد له بحكم حلب (٤٥) .

المرداسيون والسلاجقة العباسيون :

كانت إمارة عطية على حلب بداية حرب أهلية بين عطية هذا وبين ابن أخيه محمود بن نصر ، الذي كان يقول إن إمارة حلب له لأن ثمال شرط على نفسه أن يردّها إليه بعد وفاته عندما تسلمها منه ، سيما وأنه ، أي محموداً ، استرد حلب بسيفه من الفاطميين (٤٦) . وبذلك انقسم البيت المرداسي قسم يشايح عطية والقسم الآخر يشايح ابن أخيه محمود ، وما يهمنا هنا هو المداخلات الخارجية في ذلك الخلاف العائلي . وعلى الرغم من أنه جرى اتفاق بين الطرفين عام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م (٤٧) إلا أن محمود لم يلتزم بذلك الاتفاق (٤٨) ، ومن أجل التخلص من منافسه قام عطية بالاستنجاد بالسلاجقة . ويبدو أن ذلك تم بمباركة بيزنطية (٤٩) . ولكن سرعان ما دارت الأحداث (٥٠) فأنحازوا إلى محمود والتقوا بعطية الذي اضطر بعد معركة مرج دابق عام ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م إلى تسليم حلب إلى ابن أخيه محمود على أن يحتفظ بحكم اعزاز ومدن الفرات ، وبهذا تم تقسيم الإمارة المرداسية ، الذي كان مقدمة لاضعافها ثم سقوطها (٥١) .

عندما أخذ نفوذ السلاجقة العباسيين بالتنامي في سورية الشمالية قابله ضعف وتراجع للنفوذ الفاطمي ، فقام محمود بن نصر بنقل الخطبة على منابر حلب إلى الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ألب أرسلان (٥٢) ، ويورد ابن الأثير أسباب ذلك التغير بقوله وسبب ذلك أنه (أي محمود بن نصر) رأى أقبال دولة السلطان ألب أرسلان وقوتها وانتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال : « هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لأجل مذاهبكم والرأي أن نقيم الخطبة قبل أن يأت وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل ، فأجاب المشايخ إلى ذلك ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان » (٥٣) ، إلا أن السلطان السلجوقي ألب أرسلان لم يقبل بالخطبة على المنابر بحلب للخليفة العباسي وله واعتبر

ذلك بابا من ابواب الشكل أو الخداع ، وكان طلبه تقديم فروض الطاعة والولاء من الامير المرداسي كغيره من امراء العرب وتقديم ما فرضه عليه من الاموال ، كان محمود يخاف من واجهة الب ارسلان وقد فشلت جميع الوساطات والمفاوضات بين الطرفين (٥٤) . وعندما تقدم الب ارسلان وفرض الحصار على مدينة حلب ومن ثم على قلعتها وجد محمود ان لا مفر من موادة السلطان وملاقاته ليلا بصحبة والدته التي تمكنت من اقناع السلطان بالصفح عن محمود وتثبيتته في ملكه كتابع للخلافة العباسية ، وبالتالي للسلطان السلجوقي ، وذلك عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م ، ينفذ ما يطلب منه (٥٥) . وكان على رأس تلك الطلبات بالطبع محاربة الفاطميين اسياده بالامس والروم البيزنطيين حلفاء الامارة المرداسية وقت الشدة ، فقام بناء على طلب السلاجقة بغزو دمشق ومقاتلة القائد الفاطمي ابن منزو الكتامي في ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م (٥٦) ، كما قام بملاقاة البيزنطيين وعمه عطية الاجيء عندهم وهزمهم (٥٧) ، واغار عام ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ - ١٠٧٢ م على طرابلس الشام (٥٨) ، وهكذا كانت سياسة محمود في هذه الفترة تقوم على ارضاء سادته الجدد ، وبتلك السياسة يبدو انه حافظ على امارته من الانهيار ، ويعده بعض المؤرخين اخر امراء بني مرداس الاقوياء الا ان الظروف قهرته (٥٩) .

توفي الامير محمود بن نصر عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ ، بعد نحو اربعة اعوام من خضوعه للعباسيين والسلاجقة ، وتولى الامارة بعده ولده الاكبر ابو المظفر نصر الثاني الملقب بجلال الدولة ، وسار الامير الجديد على سياسة والده بالولاء للسلاجقة ومحاربة الفاطميين والبيزنطيين ، الا ان « ملك شاه » السلطان السلجوقي الجديد لم يقنع بما قنع به سلفه الب ارسلان ، فلم يكتف بالولاء ، واخذ يعمل للقضاء على الاستقلال الشكلي للامارة المرداسية واحتواء حلب ، ويضيق الخناق عليها سيما وأن الامير المرداسي الجديد لم يكن على قدر من المسؤولية والقوة فمال الى الانغماس في السكر والملاذات فثار عليه الجند الاتراك ورموه بسهم قاتل وولوا اخاه ابا الفضائل سابق الملقب بعز الدولة مكانه (٦٠) .

اضطربت احوال الامارة المرداسية في عهد سابق بسبب ازدياد نفوذ الغز النواكية . وعندما تدمر الكلابيون من ذلك لم يصغ اليهم سابق فانتفضوا عليه وكان على رأس المعارضين اخواه وثاب وشيب وابن خاله مبارك ، وتمسك كل فريق برايه فحدثت الحرب الاهلية (٦١) . وطمع السلاجقة في حلب مستغلين الظرف وحاصروها فخاف أهل حلب من الاتراك المرتزقة الذين كانوا في الجيوش السلجوقية واتفقوا فيما بينهم على تسليم حلب الى أمير الموصل العربي شرف الدولة مسلم العقيلي على الرغم من معارضته المرداسيين فجاء العقيلي وتسلم المدينة عام ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ - ١٠٨٠ م واسترضى سابقا باقطاعه الرحبة وأخويه قلعتي أعزاز والأتارب ثم تزوج بأختهم « منيعة » (٦٢) مخلصا بذلك حلب من شر الاتراك وقاطعا الطريق على

غيرهم من الطامعين ، ومحققا السياسة العباسية في بلاد الشام (٦٣) ، وبذلك انقرضت دولة بني مرداس في حلب وشمال الشام (٦٤) .

المرداسيون والبيزنطيون :

يميل نفر من المؤرخين الى الاعتقاد بأن الامارة المرداسية قامت في ظل الحماية البيزنطية بموجب اتفاق بين الطرفين يقوم المرداسيون بموجبه بدفع جعالة سنوية للبيزنطيين ، وثار خلاف بين الفاطميين والبيزنطيين حول هذه المسألة واتفق الطرفان في النهاية على ابرام صلح بين الخليفة الظاهر والامبراطور قسطنطين الثامن ينص على توقف الفاطميين عن تهديد حلب لتستمر في دفع ما ترتب عليها سنويا للبيزنطيين وفي مقابل ذلك يطلق البيزنطيون يد الفاطميين في جنوب بلاد الشام ولا يقدموا اي عون لحسان الطائي صاحب فلسطين (٦٥) . الا أن الفاطميين لم يتقيدوا بتلك الاتفاقية وقاموا بمهاجمة الحلف العربي الذي المحنا اليه فكانت معركة الاقحوانة على نحو ما أسلفنا . أثار هذا العمل بالطبع غضب البيزنطيين فقاموا بدفع ميخائيل سبونديل دوق انطاكية بالاغارة على حصن قيبار الواقع ضمن ممتلكات المرداسيين الا أن هؤلاء هزموه (٦٦) ، فرأى الامبراطور أرمانوس الثالث أن لا مفر من قيادة الجيش البيزنطي بنفسه لاعادة التوازن الذي جرى الاخلال به على اثر نقضه من قبل الفاطميين . وجاءت الفرصة سانحة عند استنجد نصر المرداسي به ضد أخيه ثمال فسار على رأس جيش كبير جداً من الجند النظاميين والمرتقة (٦٧) . ولما علم الاخوان المرداسيان بخبر هذه الحملة تناسيا خلافاتهما واستعدا لمواجهة الامبراطور البيزنطي على الرغم من اظهارهما ميلا للمسالمة ، فقام نصر بارسال سفارة الى أرمانوس على رأسها ابن عمه سيف الدولة مقلد بن كامل بن مرداس يعرض عليه التزام المرداسيين بشروط الهدنة المعقودة بين الطرفين ومعاودتهم للتبعية ، الا أن أرمانوس لم يعبأ بهذه السفارة وتجاوز الاعراف الدبلوماسية بأن أقدم على سجن السفير (٦٨) . تقدم الامبراطور البيزنطي من انطاكية الى حلب ونزل بجيشه عن تبّل (ولعلها نبل) الى الشمال الغربي من حلب وأخذ يرسل السرايا لاختبار قوة خصمه ، وكان من بين تلك السرايا سرية بقيادة ليو / خيرو - سفاكتيس Leo Chirosphaktes الا أن الكلابيين كمنوا له وأوقعوا به وأسرّوه (٦٩) . وشجعت هذه الواقعة القبائل العربية على التدفق من كل حذب وصوب يطوفون المعسكر البيزنطي ويمنعون عنه المياه والمؤن فأسقط في يد الامبراطور واضطرب جيشه فقرر العودة الى انطاكية فطارده المرداسيون الكلابيون وأوقعوا به هزيمة منكرة يتحدث كثير من المؤرخين العرب والاجانب عنها (٧٠) ، ويذكر بعضهم أن الامبراطور هام على وجهه واستبدل بخفه الاحمر المعروف به خفاً أسود للتمويه على مطاردية . لكن بعض جنده تعرف عليه وحملوه قافلين به الى حدود بلادهم (٧١) . الا أنه لم يمض وقت حتى عادوا الى الضغط على حلب للثأر من موقعة

قبل عامي ٤٢١ و ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ و ١٠٣١ م وفي النهاية اضطر الامير المرداسي الى توقيع هدنة معهم على قاعدة التبعية عام ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م ، على أن يحمل نصر كل عام الى البيزنطيين خمسمائة ألف درهم على قسطين ، وأن يطلق سراح أسيره القائد البيزنطي خيرو سفاكتيس ، ومقابل ذلك يطلق البيزنطيون مقلد بن كامل السفير السجين (٧٢) . ونلاحظ في هذه الفترة استمرار العلاقة الحميمة بين المرداسيين والبيزنطيين ، خاصة في عهد نصر ، حتى أنه اشترك معهم في حملاتهم العسكرية ضد الفاطميين ، كما هدد بهم عام ٤٢٣ هـ / ١٠٢١ م عندما أراد النائب الفاطمي أنوشتكين الدزبري مهاجمة حلب (٧٣) .

بعد موت أرمانوس الامبراطور البيزنطي وتولي ميخائيل الرابع أصاب الامبراطورية بعض الضعف فوجد الامير المرداسي الفرصة للتخلص من التبعية البيزنطية فطرد نائبها عام ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م (٧٤) ، ويبدو أن هذه الخطوة جاءت بتشجيع من الفاطميين وتدخل في آلية السياسة الخارجية المرداسية القائمة على صيانة كيان الامارة ، وبالطبع رحب الفاطميون بهذه الخطوة واستقبل الخليفة الفاطمي الجديد المستنصر رسول نصر ابن الايسر وخلع عليه وسير معه خلفا للامير المرداسي على نحو ما مر معنا عند الحديث عن العلاقات الفاطمية المرداسية (٧٥) .

في هدنة عام ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م تخلى البيزنطيون عن حماية الامارة المرداسية وسمحوا للفاطميين بمحاربة المرداسيين مما مهد الطريق للاستيلاء على حلب واعادتها الى التبعية الفاطمية . ومع هذا لم يغيب البيزنطيون عن المسرح السياسي في سورية الشمالية واستمروا في مراقبة الوضع حتى لا يخل ميزان القوى السياسية في ذلك العصر ، كما أن المرداسيين أنفسهم حرصوا دائما على علاقة هادئة مع البيزنطيين لأن في ذلك ردعا للاطماع الفاطمية التي كانت تهددهم باستمرار ، حتى أننا نجد « ثمال » الامير المرداسي يحاول اتباع سياسة التوازن بين الفاطميين والبيزنطيين ففي الوقت الذي كان فيه يقبل الخلع والتشريف المرسل من الخليفة مع ابي الفنائم صالح بن علي ابي شيبه نجده يتبادل وفي نفس السنة الهدايا مع الامبراطورة البيزنطية تيودورا الثانية Theodora II ، كما نجد ، بعد موت ثمال ، وتولى اخيه ابو ذؤابة عطية ، وقوف البيزنطيين الى جانبه في حربة مع محمود بن نصر ، ابن أخيه ، وامداده بالخلع والدنانير « اكراما لاسد الدولة عطية لانه كان مهادنا لهم » ، كما سمحوا للنجدات السلجوقية أن تمر في أراضيهم ، والجأوه الى ديارهم عندما فقد املاكه فظل في بيزنطة حتى مات عام ٤٦٥ هـ / ١٠٧١ م (٧٦) . ويبدو أن موقعة منازكرد (ملازجرد) (١٠٧١ م) التي هزم فيها السلاجقة البيزنطيين فتحت ابواب آسيا الصغرى وبلاد الشام امام تأسيس الامارات السلجوقية على حساب البلاد البيزنطية (٧٧) .

اضواء على سياسة المرداسيين الخارجية :

سبق أن المرداسيين لم تكن لهم سياسة خارجية دائمة ، فنجدهم تارة مع الفاطميين وتارة مع البيزنطيين وفقا لاطماعهم ، وقد يكون سبب ذلك ان دولتهم كانت قبلية عشائرية ، اضافة الى كونها دولة حدودية منطلقها ، كما يبدو ، انه لا وجود لعدو دائم ولا لصديق دائم ، وانما هناك مصلحة دائمة فهل هذا هو الذي حدا بهم الى التنقل من سيد الى حام ومن حام الى صديق وبالعكس .. عموما ان هذه الدولة الصغيرة لم تملأ الفراغ السياسي والحضاري الذي تركته الدولة الحمدانية السابقة وجودا لها ، وهي كغيرها من دول القبائل التي ظهرت في القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين ، في العراق والشام وكانت اضعافا للخلافة العباسية ، حيث أصبح المرء يجد دولا صغيرة كثيرة في غرب اسيا ، وقد ادى هذا بالطبع مع غيره من الاسباب الى اثارة طمع القوى الاجنبية كالروم البيزنطيين والافرنج الصليبيين ، وبالتالي الى تعرض البلاد العربية الاسلامية الى هجمة صليبية لم يستطع العالم العربي الاسلامي التخلص منها الا بعد قرنين من الزمان تقريبا .

ومن الحق أن يقال ان المرداسيين بذلوا جهدا كبيرا في سبيل الاحتفاظ بامارتهم حرة مستقلة ، الا أنهم اضطروا للانحياز الى البيزنطيين تارة او الى الفاطميين تارة اخرى في سبيل بقاء الامارة ، ومع هذا فانهم عندما كانوا يجدون فرصة للتخلص من هؤلاء او اولئك كانوا يهتبلونها ، وفي هذا البحث امثلة كثيرة تدل على رغبة المرداسيين في الاستقلال التام بامارتهم وفي رأينا انه لولا اتانية بعض الامراء المرداسيين وجشعهم الذي كان يؤدي الى انقسام الامارة احيانا او الى قيام الحرب بين امراء الاسرة ، كما كان يقود في احيان كثيرة لان يستظهر الواحد منهم على الآخر بالروم البيزنطيين او الفاطميين - لا ستمرت في العيش اطول من المدة القصيرة التي عاشتها (١٤٤-٧٢هـ) اي نحو ثمانى وخمسين سنة .

لقد كان ضعف الامارة في اواخر أيامها والخلافات بين الاخوة سابق بن محمود آخر امراء بني مرداس في حلب وأخويه وثاب وشبيب سببا في جعل كثير من أمراء العرب ينفضون من حولها ويلتحقون بالسلاجقة الذين أخذوا يهددون الامارة المرداسية بالحاقها بممتلكاتهم ، غير مكتفين بالتبعية كما المحنا سابقا ، وأطمعت شرف الدولة مسلم بن قريش ابن بدران العقيلي صاحب الموصل فسار اليها بعد أن تلقى طلبا من أهل حلب لنجدها وحاصر القلعة واستولى عليها . وقد أحسن العقيلي للمرداسيين وأقطعهم الاقطاعات واقترن باختهم منيعة ، ثم أرسل الى ملكشاه سلطان السلاجقة والخليفة العباسي ليقراه على حلب مقابل مبلغ من المال يؤديه سنويا ،

وبهذا قضي على الامارة المرداسية التي شغلت السياسة الدولية في حلب وشمال الشام مدة تزيد على نصف قرن من الزمان .

وفي الختام يمكن القول انه على الرغم من الحروب المستمرة التي كانت تخلق الاضطراب في كثير من الاحوال الا ان حلب حافظت في ظل الدولة المرداسية على ازدهار اقتصادي كبير يؤيد ذلك مما سجله الرحالة الفارسي ناصر خسرو عندما زارها عام ١٠٤٧هـ / ١٠٤٧م حيث ذكر أن تجارا كثيرين كانوا يأمنون المدينة من العراق ومصر وآسيا الصغرى وكان المرداسيون يفرضون مكوسا (٧٨) (ضرائب باهظة) في بعض الاحيان ، كما نجد الطبيب النصراني البغدادي ابن بطلان يتحدث في رسالة لأحد أصدقائه عن زيارته لحلب في عهد المرداسيين قائلا : « المدينة محاطة بسور مبني بالحجر الابيض ، فيه ستة أبواب وقد قامت قلعتها القديمة الى جانب السور وازدانت قمة الرابية بالعمائر الدينية وكانت بالمدينة عدد من الكنائس ومسجد جامع كما أن هناك مشفى ، وأهل المدينة يستقون من أحواض تجمع فيها مياه المطر ، وكان في بناء واحد من مباني السوق عشرون تاجرا من تجار الالبسة كانوا بعشرين سنة يجرون أعمالا تجارية تقدر بعشرين ألف دينار في اليوم الواحد » (٧٩) .

كما شهد هذا العصر تفتحا ذهنيا كبيرا على الرغم مما كان سائدا من فوضى سياسية وتشاؤم فكري أحيانا ، وقد انعكس ذلك جليا في شعر ابي العلاء المعري التتوخي الذي كان يمثل روح عصره في شعره وكانت له مكانة مرموقة في قومه ومجتمعه وهذا مادفعه الى الخروج في احدى المرات ليتوسط لدى صالح بن مرداس بشأن ستين من وجهاء بلده كان صالح قد اعتقلهم فنزل صالح على طلبه تكريما لذلك الشاعر الفيلسوف (٨٠) .

الهوامش

تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، مجموعة ذخائر العرب (رقم ٢٧) ، نشر معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩ بالتعاون مع دار المعارف بمصر .

منذ أن أخذ الفاطميون مصر عام ٢٥٨هـ / ٩٦٩م حرصوا على تأمين حدود مصر الشمالية الشرقية وقد تمكنوا من السيطرة على جنوب الشام عام ٣٥٩هـ / ٩٧٠م ، وظلوا يحاولون مد تلك السيطرة نحو الشمال ، وعلى الرغم من الهدنة التي عقدها مع البيزنطيين ، ومدتها

- (١) بنو مرداس عشيرة من عشائر كلاب بن ربيعة من بطون بني عامر بن صعصعة من عرب الشمال الحجازية ، والدرداش هو ادريس بن نصر بن حميد بن مدرك بن شداد ... ابن كلاب . ذكر هذا الدكتور محمد احمد عبد المولى في كتابه بنو مرداس الكلابيون في (٢) حلب وشمال الشام ط ١٩٨٥ ، ص ٢٨١ و ٢٨٢ ، حاشية (رقم ٢) نقلا عن ابن خلكان في وفيات الاعيان وابناء الزمان ، ج ١ تصحيح محمد بن عبد الرحمن الصديقي القاهرة ١٢٧٥هـ ، البلاذري : انساب الاشراف ج ١

- الهجرة ط ٢ ، ١٩٥٩ القاهرة ، ص ٥٦ .
- ابن العديم ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .
- ابن الاثير ج ٩ ص ٤٤٤ ، ابو الفداء ١/ج ٢ ص ١٦٦ ، ابن تغري بردي ج ٤ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .
- تولى بعد موت والده الظاهر وكان عمره سبع سنين وحكم مصر منذ ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦ حتى ٤٨٧هـ/ ١٠٩٥ م أي نحو ستين عاما ووزر له الجرجاني . انظر المقرئ في المخطط ج ٢ ص ١٦٦-١٧٠ ، ابن تغري بردي ج ٥ ص ١ .
- ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٨ .
- ابن القلانسي ص ٧٥ ، ابن الاثير ج ٩ ص ٤١٠ ، ابو الفداء ١/ج ٢ ص ١٦٢ ، ابن العديم ج ١ ص ٢٥٠ وما بعدها .
- ابن العديم نفس المصدر ونفس الصفحة .
- ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥١ ، ابن الاثير ، ج ٩ ص ٢٣١ - ٢٦٠ . ابن القلانسي ، ص ٧٤-٧٥ . ابو الفداء ١/ج ٢ ص ١٤٨ .
- ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٧٢-٢٧٣ .
- عبد المولى ، بنو مرداس ، ص ٩١ . ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٥ .
- ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٧ . ابو الفداء ، ج ١ ص ١٤٨ ، ابن تغري بردي ، ج ٥ ص ٧٢ .
- سبطين الجوزي ج ١ ورقه ٣٥-٣٦ ، ابن العديم ج ١ ص ٢٥٩ .
- ابن العديم ج ١ ص ٢٥٩ .
- عبد المولى ، بنو مرداس ص ٦٤ .
- يذكر ابن الاثير ج ٩ ص ٥٠٠ في حوادث عام ٤٣٣ / ١٠٤١-١٠٤٢ م « انه كان كبيرا على مخدمه بما يراه من تعظيم الملوك له وهيبة الروم منه » . ويذكر ابن القلانسي (ص ٧٩) ان الذبيري ناسب عرب الشام من طيء وكلب كما تزوج من ابنة الامير حسام الدولة من كبار رجاله الاثراك . كما يذكر ابن العديم في كتابه الزبدة ج ١ ص ٢٥٩ ، ان الجرجاني وزير المستنصر لما أنكر على الذبيري أفعاله قال له « قد خرف الوزير » وبسط لسانه
- سبع سنوات ، الا أنهم ظلوا يتطلعون الى امتلاك حلب الى أن أصبحت ولاية فاطمية عام ٤٠٧هـ/ ١٠١٧ م بعد طرد منصور بن لؤلؤ بسبب موافق غلامه ابن نصر فتح المعروف بالقلمسي ضده مع الفاطميين والكلبيين فولى الخليفة الحاكم بأمر الله أبا شجاع فاتك الارمني مملوك بنجوتكين ولقبه « أمير الامراء » عزيز الدولة وتاج الملة . انظر : (عبد المولى محمد أحمد (الدكتور) في كتابه : بنو مدداس الكلبيون (١٠) ، الاسكندرية ١٩٨٥ ص ١٥-٢٣ ، وكذلك ابن العديم زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج ١ ص ٢١٥ - ص ٢١٦ ، (٩) تحقيق سامي الدهان، المعهد الافرنسي بدمشق ، ١٩٥١ - ١٩٥٤ .
- (٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٧٩ ، عبد المولى المصدر نفسه ص ٢٥ ، ويذكر عبد المولى ان صالح بن مرداس أخذ حلب عام ٤١٥هـ/ ١٠٢٤ م من نائب حلب الفاطمي سديد الدولة ابي الحارث ثعبان الكتامي ومن نائب قلعته .
- وصوف الخادم ويبدو ان المجاعة التي حلت بمصر عام ٤١٤هـ/ ١٠٢٣ - ١٠٢٤ هي التي منعت الفاطميين من الرد السريع على المرداسيين ، ويتحدث عن تلك المجاعة المقرئ في كتابة المواظ والاعتبار يذكر المخطط والاثار ج ٢ (القاهرة ١٣٢٤هـ) ص ١٦٨-١٦٩ .
- (٤) ابن الاثير ج ٩ ص ٢٣١ (حوادث عام ٤٢٠) ، ابن العديم ج ١ ص ٢٣١ ، ابن تغري بردي ج ٤ ص ٢٥٢-٢٥٣ ، وفي ابن القلانسي ص ٧٣ يذكر انه خلال المعركة لحق رجل من عرب فزاره اسمه طريف بن صالح المرداسي وضربه بالسيف على رأسه فوقع عن فرسه وقام رجل اخر بقتله وقطع رأسه ، وحمله الى رافع بن أبي الليل الذي حمله بدوره الى الذبيري نائب الفاطميين بالشام ويذكر أيضا هذه الرواية ابن العديم ج ١ ص ٢١ الا ان روايته تضيف ان رافع هو الذي قطع رأس صالح المرداسي ، سرور محمد جمال الدين النفوذ الفاطمي في بلاد الشام في القرنين الرابع والخامس بعد

- فيه بالقبيح ومن الاعمال التي كوتب فيها ولم
ينفذها انه كوتب بابعاد كاتبه المعروف بابي
سعد الا انه لم يفعل .
- (١٨) ابن العديم ج١ ص ٢٥٩ .
- (١٩) ابن الاثير ج١ ص ٢٣١ وص ٥٠١ ويعتقد ان
ذلك كان بتحريض من الخلافة الفاطمية .
- (٢٠) ابن الاثير ج١ ص ٢٣١ وص ٥٠١ ، ابن العديم
ج١ ص ٢٥٩ ، ابن خلدون ج٤ ص ٢٧٣ .
- (٢١) ابن العديم ، ج١ ، ص ٢٦٠ . لقد تولى
بنجوتكين هذا في حلب بعد وفاة النذيري .
- (٢٢) ابن العديم ، ج١ ، ص ٢٦٣ .
- (٢٣) خلف فخر الملك ابن منصور صدقه بن يوسف
الفلاحسي ٤٣٦-٤٣٩هـ / ١٠٤٥ - ١٠٤٧م
أبا القاسم الجرجاني ، انظر ابن الاثير ج١
ص ٥٥٢ في حوادث سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م .
- (٢٤) ابن الاثير ج١ ص ٥٤١ .
- (٢٥) عبد المولى ، بنو مرداس ، ص ٩٨ . حيث
يلذكر ان سبب هزيمة ناصر الدولة هو هطول
الامطار الغزيرة على شكل سيل عارم اصاب
معسكره عند قرية صلدى الواقعة على نهر
قويق بأضرار جسيمة في المعدات والارواح
ويقال ان الماء بلغ ما يقارب قائمتين ارتفاعا ،
ولو لم يبادر ناصر الدولة وجنده بالرحيل لفرقوا .
- انظر ابن الاثير ج١ ص ٥٤٩ في حوادث عام
٤٤٠هـ / ١٠٤٨م / ١٠٤٩م .
- (٢٦) ابن العديم ج١ ص ٢٦٤ ، ابن القلانسي
ص ٨٣ ، ٨٤ ، أمر المستنصر طارقا بالقبض
على ناصر الدولة الحمداني وبالفعل قض
عليه وسيره الى مصر انظر : عبد المولى
ص ١٩ ، وقد ظل الصقلي نحو عام في ولايته
تلك ٤٤٠-٤٤١هـ / ١٠٤٨ - ١٠٤٩م .
- (٢٧) يذكر ابن الاثير ج١ ص ٥٦٠ في حوادث
سنة ٤٤١هـ / ١٠٤٩-١٠٥٠م ان ثمالا خاف
عسكر مصر الذي وصل الى حلب لكثرتهم
فانصرف عنها أي عن حلب فملكها المصريون ،
ويلذكر المقرئ في الخطط ، ج٢ ص ١٧٠ ،
ان حملة وفق كانت في سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م .
- عبد المولى بنومرداس ص ٩٩ .
- (٢٨) ابن ميسر ص ٦ ، المقرئ في الخطط ج ٢
ص ١٧٠ .
- (٢٩) كان أول من تولى منصب الوساطة هذه هو
أبو الفضل صاعد بن مسعود وحول هذه
الوساطة انظر كتاب الدكتور محمد حمدي
المناعي « الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي »
دار المعارف القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .
لقد دامت وساطة أبي الفضل صاعد اثنين
وثمانين يوما .
- (٣٠) ابن القلانسي ص ٨٤ ، ابن الاثير ج١ ص ٥٧٠
وحول وزارة الياوزري انظر : ابن منجب
ص ٤٠-٤٥ ، ابن ميسر - ٨٥ ، وعمر صالح
البرغوثي في كتابه « الوزير الياوزري » ،
دار الفكر العربي بالقاهرة بدون تاريخ .
- (٣١) الشيخ محمد (الدكتور) الامارات العربية
ص ١٦٣-١٦٤ ، ابن العديم ج١ ص ٢٦٦ -
٢٦٨ .
- (٣٢) ابن العديم ج١ ص ٢٧٠ ، الخطيب
البغدادي م٩ ص ٤٠٠ .
- (٣٣) سيرة المؤيد هبة الله ص (١٧١-١٧٣) .
وهبة الله الشيرازي الملقب بالمؤيد هو داعي
الدعاة الفاطمية بمصر فيما بعد .
- (٣٤) ابن العديم ج١ ص ٢٧٣ .
- (٣٥) الشيخ محمد (الدكتور) : الامارات العربية
ص ١٢٦ .
- (٣٦) ابن القلانسي ، ص ٩٠ ، ابن العديم ج١
ص ٢٧٦ ، وعن القاب محمود بن نصر انظر
ابن العديم ، ج١ ص ٢٩٧ حيث نجد ان
له لقبا هو رشيد الدولة ، كما ان ابن
تعري بردي ج٥ ص ٧٩ وص ١٠٠ يكتبه ابن
الروقلية مثل جده صالح بن مرداس .
- (٣٧) ابن الاثير ج١ ص ٢٣٢-٢٣٣ ، ابن العديم
ج١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .
- (٣٨) عبد المولى ، بنو مرداس . ص ١١٨ والفنيدق
حسب ما يذكر باقوت م١/ج٢ ص ٨٦٧ أنه
موضع يبعد بمقدار مرحلة عن حلب باتجاه
دمشق ، ويلذكر ابن العديم ج٢ ص ١٩ أنه

فيها نحو ثماني عشرة سنة ونصف (الاولى شهرا واحدا والثانية ست عشرة سنة وثمانية أشهر والثالثة سنة واحدة وتسعة أشهر) راجع عبد المولى . ص ١٤٦ .

ابن العديم ج ١ ص ٢٩٣ . (٤٦)

المصدر نفسه ونفس الصفحة . كان الاتفاق يقضي بأن يأخذ محمود اقطاعا بخمسة وعشرين الف دينار من جبلته سمرمين وبعض نواحي حلب .

في عام ١٠٦٤هـ / ١٠٦٤م قام محمود باغتصاب اقطاع ابن عمه ثابت بن ثمال وعاد يضايق حلب . (٤٨)

استنجد بطائفة من مرتزقة السلاجقة على رأسها هارون بن خان عام ١٠٦٤هـ / ١٠٦٤م انظر ابن العديم ج ١ ، ص ٢٩٤ . (٤٩)

تذكر الروايات أن عطية عندما هزم ابن أخيه بعمونة المرتزقة قرر التخلص منهم فاغرى بهم احداث حلب الذين بفتوهم ليلا وقتلوا منهم جماعة ونهبوا خيولهم وسلاحهم وما قدروا عليه من رحلهم ، عند ذلك انحاز من نجاة منهم وعلى رأسهم ابن خان الى محمود انظر ابن العديم ج ١ ص ٢٩٥-٢٩٦ . (٥٠)

عبد المولى . ص ١٤٨-١٤٩ ، ابن العديم ج ١ ص ٢٩٣ ، ابن الاثير ج ٩ ص ٢٣٤ . (٥١)

كانت الخطبة للخليفة العباسي القائم والسلطان ألب ارسلان على منابر حلب يوم الجمعة تاسع عشر من شوال سنة ٤٦٢هـ / ٣٠ تموز ١٠٧٠م بأمر من الأمير محمود بن نصر وقد لقي هذا ارتياحا لدى الخليفة حيث قام بإرسال الخلع مع نقيب النقباء الكامل ذي الشرفين ابي الفوارس طراد بن محمود العباسي وكانت الخلع عبارة عن جبة وعمامة وقرص بمركب ولواء انظر : عبد المولى ص ١٥٩ . (٥٢)

الكامل ج ١ ص ٦٣ ، ابن العديم ج ٢ ص ١٧ - ١٨ . (٥٣)

من تلك الوساطات وساطة نقيب النقباء الذي اشرنا اليه في الهامش رقم (٥٣) ولكنها لم تنجح ، راجع عبد المولى ، ص ١٧٦ . (٥٤)

سمي بتل السلطان لان السلطان السلجوقي ألب ارسلان أقام به .

ابن العديم ج ١ ص ٢٧٩ ، ابن الاثير ج ٩ ص ٢٢٣ ، عبد المولى ص ١١٨ . (٣٩)

عبد المولى . ص ١١٩ . (٤٠)

قبض المستنصر على اليازوري ، بتهمة اتصاله بطفرلك وحشه على غزو مصر ، ثم قتله ، انظر ابن الاثير ج ٩ ص ٦٣٥ - ص ٦٣٦ . (٤١)

كان مما قاله المستنصر لثمال حين استرجع الاقطاع الذي أقطعه إياه « ان هذه الاماكن أخذتها عوضا عن حلب ، وقد عادت الى ابن أخيك ، فتمضي الى حلب فتستعيدها منه » فقبل على مضض وقام المستنصر بتجهيزه بالمال والسلاح ولقبه بالقاب منها « الاجل الاعز ، تاج الامراء ، عماد الملك ، سيف الخلافة ، عضد الامامة ، بهاء الدولة العلوية وزعيم جيوشها المستنصرية علم الدين ، ذو الفخرين ومصطفى أمير المؤمنين » انظر : ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨١ ، ابن الاثير ج ٩ ص ٢٢٣ ، عبد المولى ص ١٤٣ . ويضيف ابن العديم أن ثمال قال للخليفة « ان نوابكم فرطوا فاعينوني بمال » ابن العديم ج ١ ص ٢٧٤ . (٤٢)

ابن العديم ج ١ ص ٢٨١ وص ٢٨٦ ، ابن خلدون ج ٤ ص ٢٧٤ . يذكر أن الصالح والموادعة استقرار بن ثمال وابن أخيه محمود على أن يأخذ الاخير معيشة بخمسين ألف دينار وثلاثين ألف مكوك غلة . (٤٣)

ابن الاثير ج ٩ ص ٢٣٣ ، راجع عبد المولى ، ص ١٤٥ . (٤٤)

ابن الاثير ج ٩ ص ٢٣٣ ، ابن العديم ج ١ ص ٢٨٨ . يجعل سوبرنهايم موت ثمال نهاية عام ٤٥٣هـ / ١٠٦١م بسدلا من ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م ويموت ثمال فقدت الاسرة المرداسية أعظم امراء بني مرداس قاطبة بعد أن حكم حلب ثلاث مرات ، بلغ مجموع سني حكمه (٤٥)

النهران الاسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي .

(٦٦) انظر عبد المولى ص ٦٦ .

(٦٧) ابن العديم ج ١ ص ٢٢٨-٢٣٩ ، وحول عدد الجيش الذي يورده ابن الاثير (ج ٩ ص ٤٠٤) وهو ٣٠٠ ألف جندي فهو عدد لا يصدق ويميل الباز العريني في كتابة الدولة البيزنطية ص ٦٨١ بأنه ثلاثين ألف والامر نفسه نجده عند محمد الشينقي في كتابه الامارات العربية ص ١٥ .

(٦٨) ابن العديم ج ١ ص ٢٣٩ .

(٦٩) ابن العديم ج ١ ص ٢٤١ .

(٧٠) الانطاكي ص ٢٥٥-٢٥٦ ، ابن الاثير ج ٩ ص ٤٠٥ ، ابن العديم ج ١ ص ٢٤١-٢٤٢ .

(٧١) ابن الاثير ج ٩ ص ٤٠٥ ، عبد المولى ص ٦٨ .

(٧٢) الانطاكي ص ٢٦٧-٢٦٨ ، عبد المولى ص ٧١ .

(٧٣) ابن العديم ج ١ ص ٢٤٦ - ص ٢٤٧ ، الانطاكي ص ٢٦٠ .

(٧٤) انظر : عبد المولى ص ٧٢ و ص ٧٣ .

(٧٥) في هذه الفترة كانت السلطة بمصر في يد الوزير الجرجاني لان الخليفة المستنصر كان عمره سبع سنوات فعمل هذا الوزير على التقرب من امر حلب المرادسي راجع : المقريري الخطط ج ٢ ص ١٩٦ - ١٧٠ ، ابن تغري بردي ج ٥ ص ١ .

(٧٦) ابن القلانسي ، ص ١٠٦ ، ابن الاثير ج ٩ ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ج ٤ ص ٢٧٤ .

(٧٧) موقعه منازكرد أو ملازكرد من المواقع الحاسمة في التاويخ وقد كانت كارثة على الروم البيزنطيين ، فابيد جيشهم وأسر امبراطورهم . وقد ترتب عليها تأسيس كثير من الاسارات السلجوقية على حساب البلاد البيزنطية .

(٧٨) ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٩٩ ، المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ص ٢٨٠-٢٨٢ ، ابن خلدون العبر ج ٤ ص ٢٧٥ .

(٧٩) ناصر خسرو : سفر نامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٤٥ .

(٨٠) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ، ص ٣٠٦-٣٠٨ . حتى فيليب : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة الدكتور كمال اليازجي ، بيروت ١٩٥٩ ، ج ١ ، ص ٢١٤-٢١٥ .

(٥٥) عبد المولى ، المصدر نفسه ، ص ١٧٧ .

(٥٦) عبد المولى ، المصدر نفسه ص ١٧٩ ، وراجع ابن العديم ج ٢ ص ٢٣ .

(٥٧) ابن القلانسي ص ١٠١-١٠٣ .

(٥٨) ابن الاثير ج ٩ ص ٢٣٤ ، عبد المولى المصدر نفسه ص ١٨٠ .

(٥٩) انظر

(٦٠) ابن العديم ج ٢ ص ٤٩٨ و ٤٩٩ ، ابن الاثير ج ١٠ ص ٩١ ، ابن القلانسي ص ١٠٨ ابو الفداء م ١/٢٤٩ ص ١٤٩ .

(٦١) حدثت مواجهة بين الاخوة عند قنشرين فانتصر سابق لان الاتراك بزعامه احمد شاه وخليفة بن دملاج ساعدوه ، انظر ابن العديم ج ٢ ص ٥٥٤ ، وعبد المولى ص ١٨٣-١٨٤ .

(٦٢) ابن العديم ج ٢ ص ٦٨ - ص ٦٩ ، ابن الاثير ج ١٠ ص ١١٥ . هناك خلاف حول استلام العقيلي لحلب هل هو عام ٤٧٢ هـ / ١٠٨٠ م أم ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م .

(٦٣) بعد استلام العقيلي لحلب أرسل الى السلطان ملكشاه يسأله أن يقره على نيابة حلب على أن يضمن له خراجها فأجابته السلطان الى ما طلب انظر : ابن الاثير ج ١٠ ص ١١٥ ، ابن خلدون ج ٤ ص ٢٧٥ ، وكذلك عبد المولى ص ١٨٦ .

(٦٤) ابن العديم ج ٢ ص ٧٠ ، عبد المولى ص ١٨٩ ولكن الامور لم تستقر في حلب بسقوط

(٧٧) الامارة المرادسية في السنوات التسع التالية ، حيث جرى الاقتتال بين شرف الدولة مسلم وسليمان بن قتلش على حلب حيث قتل شرف الدولة في ذلك الاقتتال الا أن تنش سرعان ما قتل سليمان وفي النهاية أخذ السلطان ملكشاه حلب وسلمها الى قسم الدولة آقسنقر الحاجب ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م والد عماد الدين زنكي .

(٦٥) الانطاكي ص ٢٧٠ - ص ٢٧١ ، المقريري : الخطط ج ٢ ، ص ١٦٩ ، ويقال ان هذه الاتفاقية جاءت بتوجيه الوزير الفاطمي نجيب الدولة أبي القاسم على بن احمد الجرجاني (٤١٨-٤٣٦ هـ / ١٠٢٧-١٠٤٥ م) وينسب الجرجاني الى جرجاريا وهي بلد من أعمال

القبلي وكفى وأسماء بني مرداس وسند حكمهم وبفضي الملاحظات عنهم

الملحق الثاني

ملاحظات	الوقوع السياسي	سنة بدء الحكم	الإسم	الكنية	اللقب	مسل
قيام الاسرة	تحت حمايةالاروم	١٠٢٥هـ / ١٠٢٥م	صالح بن مرداس	أبو علي ابن	أسم الدولة	١
حكمه الاول	تحت حمايةالاروم	١٠٢٩هـ / ١٠٢٩م	نصر الاول ابن صالح	أبو كامل	(الاول)	٢
حكمه الثاني، تنازل من حليفه في سنة ٤٢٩هـ (١٠٥٨م) فإلقاه الخليفة الفاطمي المستنصر عكا وبيرت وجبيل (جبلة) .	تحت حمايةالاروم	١٠٢٩هـ / ١٠٢٩م	فعل بن صالح	أبو علوان	شبل الدولة	٣
حكمه الثالث، استرد ملكه بعد أن حوله المستنصر من إقطاعه .	تحت حمايةالاروم	١٠٢٩هـ / ١٠٢٩م	فعل بن صالح	أبو منصور	عقد الدولة	٤
حكمه الاول	احتلال فاطمي	١٠٥٨هـ / ١٠٥٨م	الغنم بن علي بن دينار بن ملهم العقيلي	أبو علي	مكين الدولة	٥
حكمه الثالث، استرد ملكه بعد أن حوله المستنصر من إقطاعه .	مستقل	١٠٦١هـ / ١٠٦١م	محمود بن نصر	أبو سلامة	عز الدولة وشمسها	٦
انقسمت الإمارة في نهاية عهده إلى قسمين حكم منهما عزاز وأعمال اللواتي ولا فقه ملكه فيما بقي سني ٤٦٠هـ (١٠٦٨م) و ٤٦٤هـ (١٠٧٢م) لعق بالاروم ومات بالقسطنطينية في سنة ٤٦٥هـ (١٠٧٢م) .	مستقل	١٠٦٢هـ / ١٠٥٤م	علي بن صالح	أبو لؤي	أسم الدولة (الثاني)	٧
حكمه الثاني في حلب وأعمالها الجنوبية فقط . وفي سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧١م خضع للسلاجقة .	مستقل	١٠٦٥هـ / ١٠٥٧م	محمود بن نصر	أبو سلامة	عز الدولة وشمسها	٨
حكمه الثالث في حلب وأعمالها الجنوبية فقط . وفي سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧١م خضع للسلاجقة .	تحت التبعية السلجوقية	١٠٧٥هـ / ١٠٦٧م	نصر (الثاني) بن محمود	أبو المنذر	جلال الدولة	٩
حكمه الثالث في حلب وأعمالها الجنوبية فقط . وفي سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧١م خضع للسلاجقة .	تحت التبعية السلجوقية	١٠٧٦هـ / ١٠٦٨م	سابق بن محمود	أبو المنذر	عز الدولة	١٠

(عن كتاب بنو مرداس الكلابيون للدكتور محمد أحمد عبد المولى)